العدد (١) جمادى الآخرة ١٤٣٧ هـ/آذار ٢٠١٦م

الموعود

مجلة علمية تخصصية بحثية نصف سنوية تصدر عن مركز الدراسات التخصصيّة في الإمام المهدي عليه السلام

في هذا العدد:

- قراءة في توقيعات الناحية المقدسة - الشيخ نزار آل سنبل القطيفي
- هل يوجد مهديون؟ وهل أحمد بن كاطع منهم؟ - السيّد محمّد حسين العميدي
- نـزوع البشريـة إلى المنقذ - الشيخ نزيه محيي الدين
- رؤية الإمام المهدي عليه السلام بين الإمكان والمنع - السيّد محمود المقدَّس الغريفي
- المهدي عليه السلام من العترة عليهم السلام - الشيخ خالد البغدادي
- المَهدويّة في الحَراكِ الفطري والإنساني والثقافي - مرتضى علي الحلي
- الوهّابيـة بين المهدي المنتظر عليه السلام و الدجّال الأكبر - الشيخ عبد الحميد الجاف
- العقيدة المهدوية في ضوء فلسفة التأريخ وحتمية السنن التاريخية - لطيف عبد النبي يونس
- المهدي المنتظر عليه السلام في القرآن الكريم حوارية مع أستاذ جاحد - عبدالزهرة تركي فريح الفتلاوي
- كتاب (الغيبة) للشيخ الطوسي - عبّاس اسماعيل زاده
- رؤيا الظهور - الشيخ سفاح صكبان الجابري

نـزوع البشريـة إلى المنقذ

الشيخ نزيه محيي الدين

لنبـدأ مـن مـكان بعيـد - ظاهـراً - عـن مطلبنـا، ولكـن سـيتبيَّن أنَّـه يمـسُّ جوهـر الدليل..

يُـدرَّس في المـدارس، ويُعـرَض في الأفـلام الوثائقيـة، كيفيـة اخـتراع الإنسـان للطبـخ ومذاقـه، فتقـول الروايـة الشـبه دارونيـة: إنَّ الإنسـان القديـم كان يـأكل اللحـم النيّـئ، فضـربت صاعقـة الغابـة بالقـرب مـن كهفـه، فوجـد حيوانـات كثيرة ميِّتـة ومشـويَّة، فأكلهـا اضطـراراً، فوجـد طعمهـا أطيـب مـن طعـم اللحـم النيّـئ، واسـتمرَّ يـأكل مـن اللحـم المشـوي بفعـل الحرائـق خمسـة ملايـين سـنة، ثـمّ اكتشـف طريقـة للتحكّـم بالنـار وصُنعِهـا قبـل (٤٠٠) ألـف سـنة، فأخـذ يحـرص عـلىٰ تجميع النـار وتعاهدهـا، وأخـذ يطبـخ بهـا، فتطـوَّر مطبخـه إلىٰ هـذا اليـوم.

السؤال المهمّ: من أخبر هؤلاء بهذه القصَّة؟

وما الدليل عليها؟

الجواب: هو الخيال، وهو الدليل فقط وفقط.

أليـس غريبـاً أن تصـاغ أفـكار مدرسـية بفرضيـات خياليـة تُـدرَّس كحقيقـة لا تقبـل الجـدل؟

ولكـن للأسـف هـذا هـو الواقـع في الكثـير مـن الفرضيـات الخياليـة التـي تُسـمّىٰ حقائـق علميـة التـي آمـن بهـا العلـماء، كـما هـو في تفصيـلات العديـد مـن جوانـب

نظرية دارون وغيرها، فما هي إلَّا فروض خيالية لا يدعمها أيّ دليل علمي، وإنَّما دليلها الخيال وتصنيع الأدلَّة وزراعتها من أجل تصديق الخيال. وقد أطبق علماء الغرب علىٰ التصديق بهذه الخيالات إلَّا القليل النادر منهم الذي يعترض ولا يقبل تسمية كلّ الترقيعات بالأدلَّة.

وعلىٰ هذا المنوال نقرأ نشوء الأديان في الأرض، بخيال طريف يقول بأنَّ الإنسان كان جاهلاً ضعيفاً، فرأىٰ الأحوال المناخية والظواهر القاهرة فخاف منها، وبدأ الخوف يسيطر عليه بشكل جماعي، فاخترع فكرة الإله الخالق الذي يفزع إليه الناس من أجل الاطمئنان، فكان الإيمان بالله عبارة عن علاج نفسي للخوف والرهبة الشديدة من الصواعق والعواصف والوحوش.

والدليل علىٰ هذا السيناريو هو الخيال المحض الذي لا يدعمه أيّ دليل إطلاقاً.

ولكن هل يتوقَّف الأمر عند تفسير نشأة التديّن بعبادة الخالق بهذا الحدّ؟

لا أبداً، بل أصبحوا يتفنَّنون في تفسير كلّ المعتقدات الدينية، وكيف انحدرت من ذلك الخوف الجاهل لتكوين ديانة كاملة.

طيّب هؤلاء يريدون أن يُقنِعوا أنفسهم بأنَّ الدين ناتج عن التخلّف الإنساني في فهم الطبيعة وظواهرها المخيفة.

وحركتهم هذه إنَّما هي للعداء مع الكنيسة التي قتلتهم بجريمة العلم، كما قتلت الفيزيائيين والكيمائيين الذين أسموهم بالمهرطقة أي الزنادقة أو المرتدّون عندهم. فهذا ردُّ فعل نمىٰ وتطوَّر في ظرف صراع مع الكنيسة.

لكن أن نرىٰ مسلمين أو متديّنين مخالفين للتشيّع، وللأسف بعضهم من أبوين شيعيين، يحاولون تفسير ظاهرة النصوص علىٰ الإمام المهدي عليه السلام وظهوره ليملأ الأرض عدلاً بدل الظلم والجور فيها، بنفس هذه التفسيرات الخيالية، بدعاوىٰ ليس لها أيّ أرضية علمية إلَّا الخيال، فنراهم يُصرِّحون أنَّ المهدي خرافة بشرية أنتجها الظلم والاضطهاد الذي لا يستطيع المظلوم أن

يـرىٰ لنفسـه خلاصـاً وسـعادةً، فيخـترع هـذه الفكـرة مـن أجـل الأمـل في الحيـاة، وهكـذا بـدأت التحليـلات الخياليـة تنمـو عنـد هـؤلاء.

ولا يشـعر هـؤلاء بالخجـل حـين يُحوِّلـون خيـالات غـير علميـة، بـل يعارضهـا العلـم جزمـاً إلىٰ حقائـق علميـة تقـام عليهـا ديانـة معاكسـة نتيجـة القناعـة بالخيـال.

ينقـل الأُسـتاذ ثامـر هاشـم العميـدي في كتابـه دفاعـاً عـن الـكافي تحليـلات العباقـرة في الخيـال، مثـل قولهـم: (والـذي دعـا الشـيعة إلىٰ تبنّي فكـرة المهـدي المنتظر والتركيـز عليهـا، هـو مـا آلـت إليـه أحوالهـم بعـد مقتـل عـلي، وتـولّي معاويـة الأمـر، ومبايعـة الحسـن لـه، ثـمّ استشـهاد الحسـين، وفشـل الحـركات التـي قامـوا بهـا ضـدّ الأُمويـين، وقـوَّة شـوكتهم، فعملـوا عـلىٰ تحويـل دعوتهـم إلىٰ دعـوة سرّيـة تعمـل في الخفـاء عـلىٰ الإطاحـة بالحكـم الأُمـوي، وتقويـض أركانـه، ولكنَّهـم أدركـوا أنَّ هـذا لا يتـمُّ إلَّا بعـد جهـود مضنيَّـة، ووقـت طويـل، فـكان لا بـدَّ مـن ربـط الأتبـاع بأمـل يتطلَّعـون إليـه، وكان ذلـك الأمـل هـو الإمـام الغائـب أو المهـدي المنتظـر محمّـد بـن الحنفيـة، أو محمّـد بـن الحسـن العسـكري، أو عبيـد الله المهـدي، وفقـاً لاختـلاف فِـرَق الشـيعة).

ونقـل الأُسـتاذ العميـدي عنهـم أيضـاً: (والواقـع أنَّ عقيـدة المهـدي قـد تمَّـت وترعرعـت قبـل وقـوع غيبـة الإمـام، وذلـك عقـب موقعـة كربـلاء، وبعـد فشـل الشـيعة في تقويـض دعائـم الحكـم الأُمـوي، وبالتـالي كان الشـيعة مهيَّئـين لقبـول فكـرة المهـدي مخرجـاً للتعـارض بـين ضرورة النهـي عـن المنكـر مـن ناحيـة، وبـين التسـليم بالسـلطة القائمـة مـن ناحيـة أُخـرىٰ، وبالتـالي كانـت المهديـة أُمنيـة شـيعية وجانبـاً سـلبياً في حياتهـم يُمثِّـل بابـاً للخـروج والانسـحاب مـن الحيـاة السياسـية).

أقـول: هكـذا نجـد الأفـكار الخياليـة التـي تُحلِّـل الأُمـور بخيـال خصـب، تُعرَض وكأنَّهـا حقائـق غـير قابلـة للنقـاش. وأنَّ فكـرة المهـدي نابعـة مـن الفشـل في تحقيـق الأهداف السياسـية.

أقـول: وقـد نسـي هـذا العبقـري المنكـر للمهـدي أحاديـث النبـيِّ عـن المهـدي،

الـذي قـال عنـه المحدِّثـون الأوائـل مـن أهـل السُّـنَّة بأنَّـه مـن ضـروريات الاعتقـاد في الإسـلام. وقـد أقـرَّ ذلـك شـيخ السـلفية الحديثـة عبـد العزيـز بـن بـاز، فقـد قـال في جـواب مـن سـأل: (يوجـد لدينـا رجـل ينكـر المسـيح الدجّـال والمهـدي ونـزول عيسـىٰ عليه السلام)، مجيبـاً: (مثـل هـذا الرجـل يكـون كافـراً والعيـاذ بـالله؛ لأنَّـه أنكـر شـيئاً ثابتـاً عـن رسـول الله عليـه الصـلاة والسـلام...)، الـخ الجـواب.

إذن هـذا جـزء يسـير مـن دعواهـم بـأنَّ فكـرة المنقـذ وفكـرة المهـدي هـي نتيجـة ضغـوط الحيـاة والفشـل في تحقيـق الأهـداف، فتتحـوَّل الآمـال إلىٰ انتظـار منقـذ عالمـي سـيقوم بتحقيـق كلّ الآمـال والطموحـات.

ولـو كان فكـرة المنقـذ هـي فكـرة أبنـاء الغابـة ومنحصـرة في الشـعوب البدائيـة والمتخلِّفـة والتـي لا تعـرف الله، لقلنـا: إنَّهـا ظاهـرة نفسـية إنسـانية، ولكـن مـاذا لـو ثبتـت أنَّهـا تعليـمات إلهيـة ثابتـة في كلِّ الأديـان مـن أقـدم الديانـات إلىٰ الآن؟ فهـل هـذا دليـل عـلىٰ أنَّهـا ظاهـرة نفسـية لمعالجـة الألم بالأمـل؟

فلنسـأل أنفسـنا: هـل أنَّ انتظـار المهـدي في آخـر الزمـان هـو جـزء مـن الأمـل عنـد الإنسـان، وعمليـة عـلاج نفسـي داخـلي، أم هنـاك أمـر آخـر أكثـر واقعيـةً مـن تصـوّرات خياليـة؟

المعـروف أنَّ الأمـل هـو بالفـرج وحصـول الأشـياء في الحـاضر أو المسـتقبل القريـب وليـس في آخـر الزمـان بعـد آلاف السـنين، فالفكـرة إذا بـدت صحيحـة بوجـود الأمـل وفاعليتـه في النفـس الإنسـانية، فهـذا لا يعنـي أنَّهـا تصنـع شـخصية عالميـة محـدَّدة تـأتي في آخـر الزمـان بعـد فسـاد كلّ الحضـارات وانتشـار الظلـم والجـور وسـيادة جـبروت الإنسـان وسـيطرته عـلىٰ مقـدَّرات الأرض، فهـذه أُمـور ليسـت مـن مـدرَكات العقـل العمـلي ولا النظـري إلَّا بمقـدار عمومـي وقريـب جـدَّاً لا يصـل إلىٰ فكـرة آخـر الزمـان. فـما اسـتندوا عليـه مـن خيـال لا ينتـج شـيئاً ممَّـا قالـوه، وإنَّـما ينتـج عمـوم حصـول الفـرج بعـد الشـدَّة، والأمـل في نجـاح المطالـب، وتحسـين الحـال في المسـتقبل بعـد معانـاة مختلفـة الشـدَّة. وهـذا موجـود دائـماً، ولا

علاقة له بالمنقذ العالمي الذي له شخصية واقعية وصفات وأفعال محدَّدة ذكرتها كلّ الأديان وبالإطباق على تلك الصفات والأفعال.

وفي سبيل تكذيب وهمهم فعلينا أوّلاً إثبات أنَّ التبشير بالمنقذ المخلِّص للناس من مشاكلهم هو تبشير ديني عبر أنبياء الله أو أولياءه أو عبر الديانات عموماً، فهناك اتِّجاهان سنختار واحداً منهما:

الاتِّجاه الأوَّل: هو معرفة هل أنَّ فكرة المنقذ عالمية منصوصة في الأديان عبر كلّ التاريخ، أم هي حالة طارئة عند بعض الشيعة المأزومين الذين فشلوا في تحقيق أحلامهم السياسية كما يدَّعون؟

الاتِّجاه الثاني بالنسبة للمسلمين: وهو يحصل في الجواب على السؤال التالي: هل أنَّ فكرة المهدي هي فكرة شيعية متأخِّرة نتيجة الفشل في تحقيق الأهداف السياسية، أم هي فكرة محمّدية فيها نصوص كثيرة عن النبيِّ محمّدﷺ وصلت إلى درجة الصحَّة عند غير الشيعة؟

الاتِّجاه الثاني يحتاج إلى بحث كامل، ولكنَّه اتِّجاه سهل في تناوله، لكثرة النصوص والتحقيقات سواء عند السُّنَّة أو عند الشيعة على حدٍّ سواء، وهي نصوص فيها صحيح الصدور، وفيها محتمل الصدور، وفيها الضعاف التي لا يمكن الجزم بها، وهذا ليس مقتصراً على الشيعة، بل هو عند السُّنَّة أيضاً، فما دام هناك أحاديث صحيحة الصدور فليس في القضيَّة مشكلة، ويُحمَل الضعيف أو الحسن المحتمل على الصحيح، فيكون كلام مثل هذا المتخيِّل لهذا السيناريو إنَّما هو غناء في الكوز.

اليوم نختار البحث في إثبات أنَّ فكرة المنقذ تُبشِّر بها الأديان من القِدَم.

وعليه لنقرأ أنَّ فكرة المنقذ والمصلح العالمي هي فكرة دينية ذُكِرَت في الكتب المقدَّسة، وكانت جزءاً من الاعتقادات الدينية على مرِّ الزمن.

فهي ليست وليدة اليأس من انتصار العدل ليأمل الناس بظهور من سيملؤها عدلاً، بل هي جزء من البشارات الإلهية في الكتب المقدَّسة.

فهي إخبار إلهي بمصير البشر الأحياء في الأرض، كما أنَّه أخبر بمصير البشر فيما بعد الموت بيوم الجزاء والعدل.

ومن هنا قد نستغرب ورود فكرة المهدي في أديان نعتقدها غير توحيدية وغير إلهية ظاهراً وإنَّما هي أكاذيب علىٰ الناس، ولكن يبدو من خلال التحقيق بأنَّ هذه الديانات كانت توحيدية وإلهية، ولكن التحريف عند الأتباع وصل إلىٰ مرحلة لا يوجد فيها لقاء بين النصّ الأساس وبين الواقع. فمثلاً بوذا الذي يُدَّعىٰ أنَّه لا يؤمن بإله أصلاً، وأنَّ ديانته قائمة علىٰ تحسين الأخلاق، ففي وصيَّة بوذا الأخيرة قبل موته قال للتلاميذ حوله: (ليس في العوالم المرئيَّة وغير المرئيَّة إلَّا قدرة واحدة لا بداية لها ولا نهاية، لا شريعة لها إلَّا شريعتها، لا تميّز ولا تحقّد).

فهل هذا كلام من لا يؤمن بالله الواحد اللانهائي المنحصرة فيه القدرة والحقّ في التشريع؟ علىٰ أنَّ الترجمات نشكُّ فيها غالباً، فإنَّ من يقوم بها يحذف ما لا يخدم هدفه.

ولسنا هنا في بحث هل الديانات مثل البرهمية التي هي أصل المجوسية التي نشأت في أُور في نفس فترة النبيِّ إبراهيم عليه السلام في القرن العشرين قبل الميلاد؟ فهل كان من الصدفة أن يكون اسم الديانية هو البرهمية وتنشأ في زمن إبراهيم نفسه، وفي نفس مدينته، وتأخذ نفس المسمّيات كمسمّىٰ خدمة المعبد السومري (المجوس)؟ هذا مجرَّد تساؤل لعلَّه يُفسِّر بنتيجته الإيجابية ما فعله الإمام علي عليه السلام باعتبار المجوس أصحاب كتاب، وعاملهم معاملة أهل الكتاب في نشر الذمَّة، كما يُذكر في بعض الروايات.

وفي (مجمع الفائدة) قال المقدَّس الأردبيلي: (قيل: كان لهم نبيّ وكتاب، قتلوه وحرقوه، واسم نبيّهم زردشت، واسم كتابه جاماست)، (أُنظر: مجمع الفائدة ج ٧/ ص ٤٣٨).

وفي وسائل الشيعة: (إنَّ اسم نبيِّهم داماست فقتلوه، وكتاب يقال له: جاماست كان يقع في اثني عشر ألف جلد ثور فحرقوه)، (وسائل الشيعة ج ٥/ ص ١٢٧).

في كتاب الطهارة للسيِّد الخوئي (ج ٢/ ص ٤٨) أنَّه قال: (ثمّ إنَّه إذا بنينا علىٰ نجاسه أهل الكتاب بمقتضىٰ الأخبار المتقدِّمة وتسالم الأصحاب، فهي لما تختصّ باليهود والنصارىٰ والمجوس...).

وفي الكافي للحلبي (ص ٢٤٥) يقول: (والكفّار أربعة أصناف: كتابيّون، وهم اليهود والنصارىٰ والمجوس).

وفي تحرير الأحكام للعلَّامة الحلّي (ج ٣/ ص ٤٦١) قال: (اليهود لهم كتاب التوراة، والنصارىٰ لهم الإنجيل، أمَّا المجوس فقيل: لهم كتاب ثمّ نُسِخَ ورُفِعَ بين ظهرهم، فلهم شبهة كتاب، فلحقوا بالكتابيين في أحكامهم).

فحتَّىٰ لو لم يكن كلّ من زرادشت (قيل: في حدود ١٤٠٠ قبل الميلاد، وقيل: في حدود ٦٢٥ قبل الميلاد، المتبنّي للبرهمية المجوسية بحدود ١٩٥٠ قبل الميلاد)، أو بوذا (وُلِدَ سنة ٥٦٨ ق م)، وكونفوشيوس (٥٥١ ق م)، أنبياء فإنَّ أصل رسالاتهم لا يبعد أنَّها من الديانة الإبراهيمية الحنيفية. وهذا يحتاج إلىٰ مزيد من التحقيق رغم كثرة القرائن لحدِّ الآن.

والمجوس الزرادشتية هم أصل الديانة الهندية كالهندوسية والبوذية الهندية والصينية الكنفوشية، كما يقولون هم بأنَّ الهندوسية البرهمية مذهب من مذاهب المجوسية البرهمية، والبوذية تصحيح لانحراف الهندوسية، والكنفوشية تصحيح تطوير للبوذية.

فحال هؤلاء واعتبارهم أصحاب ديانة سماوية كحال الوهّابية اليوم، حيث نعتبرهم من المسلمين، ولكن بتحقيق أقوالهم فلا تجد أيّ لقاء بين الإسلام وبين الوهّابية إطلاقاً. ويستحيل أن تكون الوهّابية تُمثِّل النبيَّ محمّدﷺ، كما هو الحال في الديانات الأُخرىٰ كاليهودية والنصرانية والمجوسية، حيث يستحيل نسبتها إلىٰ الله الذي أنزل موسىٰ وعيسىٰ والنبيّ إبراهيم أصل الديانة العراقية والشرقية.

ولعلَّ أغرب ما نقرؤه أنَّ البوذيين يعتبرون الكعبة في مكّة هي مكانهم المقدَّس، وأنَّها قبر بوذا (مع أنَّهم يدَّعون إحراقه وتوزيع رماده بين البلدان).

ورد بصحيفة الحياة اللندنية كلام د. حاتم الطحاوي الأُستاذ في كلّية الآداب جامعة الملك فيصل قائلاً:

إنَّ المؤرِّخ (شو جو كوا) في القرن الثالث عشر الميلادي ذكر (أنَّ المسلمين يحتشدون في شكل سنوي عند اقتراب موعد الاحتفال بالذكرىٰ السنوية لوفاته في مكّة المكرَّمة. كما تحدَّث عن الكعبة المشرَّفة وستائرها الحريرية باعتبارها منزلاً لبوذا أيضاً. وأوغل المصنِّف الصيني في تشوّشه ليشير إلىٰ أنَّ قبره يقع في مكّة أيضاً).

ودراسة البوذية ليست سهلة، لأنَّها تمتلك تاريخ وأفكار ومفاهيم مشوّشة عجيبة، مثلاً ممَّا ينقله البوذيون من كلام بوذا يخالف معتقدهم تماماً، فمثلاً هم يستدلّون علىٰ أُلوهيته بنصٍّ ضدّهم تماماً، فيقولون: قال بوذا قبل أن يموت: (إنَّ كلَّ مركَّب مصيره إلىٰ الفساد)، فيُقرِّرون أنَّه تخلَّص من التركيب وعاد إلىٰ أُلوهيته. والحقيقة أنَّه شهد علىٰ نفسه بالتركيب وبالفساد ومصيره الموت، فكيف يكون إلهاً؟ ولو صحَّ ما قالوه بأنَّ التحلّل هو نفي للتركيب، وهو عبارة عن ارتفاع إلىٰ السماء، فكلُّ الكائنات الحيَّة تتحلَّل، فهل كلّها بوذا، وكلّها آلهة؟

فهكذا هي هذه الديانات الشرقية علىٰ نفس المنوال من الخلط بين الحقِّ والباطل، والإيغال في التفسير البعيد عن المقاصد بموجب البيان الإنساني وأُصوله العقلية، ولذا هو أمر يحتاج إلىٰ المزيد من التحقيق، ولكن علىٰ كلِّ حالٍ فإنَّ هذه الديانات تُبشِّر بمنقذ عالمي يُوحِّد الأرض، وينشر العدل العامّ، وينشر الخير والرزق الوفير للجميع.

فقد قال الدكتور علي أبو الخير في بحثه (عالمية الخلاص وحتمية الظهور في الفكر السياسي) ما يلي: (إنَّ فكرة (المنتظر) فكرة تكاد لا يخلو منها مجتمع بشري أو عقيدة دينية، فجذور الانتظار تضرب في أعماق التاريخ والمعتقد الديني، وهي فكرة مرادفة لمفهوم الخلاص).

ونبدأ بما نُقِلَ من نصوص عن المنقذ في الديانات الشرقية القديمة، وبعد ذلك نعرف ما هو موجود في الديانتين اليهودية والنصرانية.

وهنا يجب أن نقول: إنَّ كلَّ النصوص مترجمة من لغات متعدِّدة، ونعتمد فيها علىٰ رواتها ومترجميها، فإنَّنا نفتقر إلىٰ معرفة اللغات العالمية الحديثة والقديمة، وهذا ليس من اختصاصنا، فالعهدة علىٰ من ترجم ونقل، والأمر مفتوح لمن يعلم اللغات، فلعلَّه يجد ما لم يعثر عليه المترجمون السابقون.

المنقذ في معتقدات الزرادشتية:

نقلتُ النصوص عن موقع مركز أهل البيت في لندن بإدارة السيِّد محمّد الموسوي حفظه الله، وهو ومجموعته أعرف بلغة أهل الهند. فينقل الموقع ما يلي:

ورد عندهم ثلاثة أسماء للظهور في آخر الزمان:

جاء في كتاب شابوهرجان، من الكتب المانوية المقدَّسة عندهم: (... خرد شهر إيزد لا بدَّ أن يظهر في آخر الزمان وينشر العدل في العالم...).

وعن سوشيانت، من الكتب الزرادشتية المقدَّسة عندهم، جاء فيه: (... استوت إرت، سوشيانت أو المنقذ العظيم. سوشيانس، أو موعود آخر الزمان..، وسيلة وعلاج جميع الآلام به، يقتلع جذور الألم والمرض والعجز والظلم والكفر، يُهلِك ويسقط الرجال الأنجاس...).

وفي رسالة جاماسب (صفحة ١٢١): (... سينشر (شوشيانت، المنقذ) الدين في العالم فكراً وقولاً وسلوكاً).

المنقذ في المعتقدات الهندية:

أنقل تلخيص شبكة الإمام المهدي في ما جاء في هذه الديانة، والعهدة علىٰ الموقع، بما يلي:

(جاء الحديث حول المنقذ والموعود في أعراف الهنود وكتبهم، مثل كتاب (مهابهارتا) وكتاب (بورانه ها) حيث قالوا:

تذهب الأديان جميعاً إلىٰ أنَّه في نهاية كلّ مرحلة من مراحل التاريخ يتَّجه البشر نحو الانحطاط المعنوي والأخلاقي، وحيث يكونون في حال هبوط فطري وابتعادٍ عن المبدأ، ويمضون في حركتهم مضيّ الأحجار الهابطة نحو الأسفل، فلا يمكنهم أنفسهم أن يضعوا نهاية لهذه الحركة التنازلية والهبوط المعنوي والأخلاقي، إذن لا بدَّ من يوم تظهر فيه شخصية معنوية علىٰ مستوىٰ رفيع تستلهم مبدأ الوحي وتنتشل العالم من ظلمات الجهل والضياع والظلم والتجاوز، وقد أُشير لهذه الحقائق في تعاليم كلّ دين إشارة رمزية منسجمة مع المعتقدات والقيم الأُخرىٰ انسجاماً كاملاً.

فمثلاً: في الديانة الهندية، وفي كتب بورانا (burana) شرح تفصيلي حول مرحلة العصر الكالي (kali) يعني: آخر مرحلة قبل ظهور أو تاراي ويشنو العاشر).

المنقذ في المعتقدات الصينية البوذية والكنفوشية:

ورد في كتاب أوبانيشاد (صفحة ٥٤) المقدّمة ما يلي: (... حينما يمتلئ العالم بالظلم يظهر الشخص الكامل الذي يُسمّىٰ (يترتنكر: المبشَّر) ليقضي علىٰ الفساد ويُؤسِّس للعدل والطهر...، سيُنجي كريشنا العالم حينما يظهر البراهميتون).

وجاء في كتاب ريك ودا ماندالاي (ص ٤ و٢٤): (يظهر ويشنو بين الناس..، يحمل بيده سيفاً كما الشهاب المذنب، ويضع في اليد الأُخرىٰ خاتماً برّاقاً، حينما يظهر تكسف الشمس، ويخسف القمر وتهتزُّ الأرض).

أقول: بعد دراسات الكثير من عقائد البوذية وجدت أنَّهم يؤمنون بظهور بوذا الخامس، أي المستنير الخامس الذي سيُوحِّد العالم. وفي فلسفتهم التناسخية المتأخِّرة في الفكر البوذي نراهم يقولون بتناسخ بوذا، وإنَّه سيعود بولادة بوذا الخامس (كَمايتريا) من جديد لينقذ العالم. وهذا ما أجمعت عليه دراساتهم التي قرأناها باللغة العربية.

كما في موقع بيت الصيّاد مقال للمستنير (أُوشو) بعنوان أبعد من الأبعاد عن عودة بوذا من جديد، حيث يُفسِّر موضوع ظهور بوذا الخامس بتفسير غريب خليط بين التناسخ والولاية التكوينية، فيدَّعي أنَّ بوذا حينما يرتفع إلىٰ السماء الخامسة يحافظ علىٰ جسده في كلِّ سماء، فجسده في الرابعة والثالثة والثانية محفوظ، ويفقد جسده المادّي المتحلِّل في الأرض، وعندما يصعد إلىٰ السماء السابعة تتحلَّل روحه وتصبح مندمجة بالله، ولكنَّه حينما يرجع إلىٰ الأرض يستخدم أجساده في السماوات لتتمثَّل في الأرض بطريقة يقول عنها أنَّها معقَّدة جدًّا.

وعلىٰ كلِّ حالٍ هذه تفسيرات تبرّعية، المهمُّ فيها هو تسالمهم بنزول المنقذ الذي يحكم العالم وينشر العدل.

المنقذ في الديانة اليهودية والنصرانية:

اليهود الآن ينتظرون المنقذ، واسمه مسيّا ومشيحا. والنصارىٰ ينتظرون المنقذ، واسمه عندهم في كتبهم البركليت.

إذن لنقرأ في مقدّمة كتاب (حرمة ذبائح أهل الكتاب) للشيخ البهائي بقلم السيِّد زهير طالب الأعرجي، ذكر جملة مهمَّة عن إيمان اليهود الحاليين التي يجب أن تتوفَّر في الذابح حتَّىٰ تتمَّ التذكية عندهم، فقال:

وأغلب اليهود تؤمن بالله الواحد، الخالق، الأوَّل، الآخر، وبأنبياء الله (عدا عيسىٰ ومحمّد) صلوات الله عليهم، وبتعاليم موسىٰ عليه السلام، و بخروج المنقذ المنتظر (Melton Messia: ٧٦٧).

وللعلم فإنَّ اليهود والنصارىٰ يشتركون في كتب العهد القديم، ولكنَّهم يختلفون في عدد الكتب والفصول، فبعضها يُعترَف به وبعضها لا يُعترَف به.

في الكتب اليهودية ذُكِرَ النبيُّ محمّد، وذُكِرَ الإمام المهدي، وذُكِرَ علي، وذُكِرَ الحسين ومصيبته صلوات الله عليه أجمعين، ولكن هناك خلط عند المسلمين بين ما هو لمحمّد المهدي وبين ما هو لمحمّد رسول الله، فبعض النصوص لا

تقبل الانطباق إلّا على شخصية واحدة وبعضها تقبل الانطباق على شخصيتين، وهم يخلطون بينها. والفارق بينهما حسب التتبّع هو مهمَّته وفعله، فإذا كان صاحب الرسالة فهو النبيُّ محمّد، وإذا كان القائم بالدولة العالمية وإخضاع جميع البشر في آخر الزمان فهو المهدي. وعلى هذا المعيار سنذكر ما ينطبق على المهدي فقط بدون شروح كثيرة وأدلَّة على هذه الدعوى.

وسنختصر البحث في النصوص اليهودية والمسيحية اختصاراً قد يكون مخلّاً، لأنَّه طويل الذيل جدّاً.

فالمنقذ ورد عندهم بتسميات وصفات، هي:

١ – الوارث للأرض.

٢ – المسيّا والبيركليت.

٣ – جذع يسي.

٤ – المشيحا.

١ - الوارث للأرض:

نعلم أنَّ هناك تحدٍّ كبير للديانتين المسيحية واليهودية بذكر الله لنصٍّ في الزبور في نصِّ القرآن، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (الأنبياء: ١٠٥).

ولم يُكذِّبه أيٌّ من المسيحيين أو اليهود، وهذا النصُّ موجود بالفعل في الزبور، وفيه إضافات تدلُّ على ما صرَّح به أئمَّتنا من أنَّه لا ينطبق إلّا على المهدي عليه السلام في آخر الزمان.

أقول: كيف ينفون ذلك وهو نصٌّ في الزبور؟ إذ يقول: (الصدّيقون يرثون الأرض، ويسكنونها إلى الأبد)، (المزامير ٢٩: ٣٧).

إنَّ النصَّ بهذا المزمور يصف طبقة من المؤمنين كما هو ظاهر القرآن، ولكن بملاحظة النصوص المرافقة في المزمور نجد أنَّ النصَّ يتكلَّم عن تعميم الحقّ والعدل على الأرض وزوال الأشرار كلّياً من الأرض في آخر الزمان. وهذه

صفات دولة الإمام المهدي، وقيادة الإمام المهدي الذي سيتربَّص به الشرّير فلن يُمكِّنه الله منه حتَّىٰ يُظهِره لإظهار الحقِّ.

إذن لنقرأ بعض النصوص في نفس المزمور: (لأنَّ الربَّ يُحِبُّ العدل، ولا يتخلّىٰ عن أتقيائه، بل يحفظهم إلىٰ الأبد. أمَّا ذرّية الأشرار فتُفنىٰ)، ٢٩ - (الصدّيقون يرثون خيرات الأرض، ويسكنون فيها إلىٰ الأبد)، ٣٠ - (فم الصدّيق ينطق دائماً بالحكمة، ويتفوَّه بكلام الحقِّ)، ٣١ - (شريعة إلهه ثابتة في قلبه، فلا تتقلقل خطواته)، ٣٢ - (يتربَّص الشرّير بالصدّيق ويسعىٰ إلىٰ قتله)، ٣٣ - (لكن الربّ لا يدعه يقع في قبضته، ولا يدينه عند محاكمته)، ٣٤ - (انتظر الربّ واسلك دائماً في طريقه، فيرفعك لتمتلك الأرض، وتشهد انقراض الأشرار)، ٣٥ - (قد رأيت الشرّير مزدهراً وارفاً كالشجرة الخضراء المتأصِّلة في تربة موطنها)، ٣٦ - (ثمّ عبر ومضىٰ، لم يوجد. فتَّشت عنه فلم أعثر له علىٰ أثر)، ٣٧ - (لاحظ الكامل وانظر المستقيم، فإنَّ نهاية ذلك الإنسان تكون سلاماً)، ٣٨ - (أمَّا العصاة فيُبادون جميعاً، ونهاية الأشرار اندثارهم)، ٣٩ - (لكن خلاص الأبرار من عند الربِّ، فهو حصنهم في زمان الضيق)، ٤٠ - (يعينهم الربُّ حقَّاً، ويُنقِذهم من الأشرار، ويُخلِّصهم لأنَّهم احتموا به).

٢ - المسيّا والبركليت:

هذان الاسمان مشخِّصان لمنقذ في آخر الزمان، الأوَّل في النصوص اليهودية، والثاني في النصوص المسيحية، وكلاهما بنفس الجذر اللغوي حسب الترجمة.

(المسيّا) هو (حمدا) في العبرية، ويُكتَب (حمدا)، فترجموها (المسيّا) باليوناني وتعني المخلِّص، وهذا التحريف متأخِّر حدث بعد الإسلام، والكتب القديمة كلّها كان يُكتَب (حمدا) أو (حمادا)، وهي بمعنىٰ المشتهىٰ أو المحمود المرغوب كما في القواميس العبرية.

و(البركليت) في اللغة اللاتينية هي أفعل التفضيل للفعل (حمد)، ويقابلها كلمة مفتوحة الباء والراء تُلفَظ (بَارَاكليت) وهي بمعنىٰ المهرِّج في المهرجانات.

وفي الترجمات المتأخِّرة منحوا معنىٰ الثاني للأوَّل وسمّوه بدل المهرِّج المسلّي والمعزّي.

والبركليت عندهم سيبعثه الله في آخر الزمان لخضع العالم كلّه لدين واحد، ينشر العدل والسعادة والحقَّ.

لكن مواصفاتهما واحدة، وهي لشخص يأتي في آخر الزمان، يدين الناس جميعاً، أي يُوحِّد الدين لله في الأرض.

إذن فلننظر لمواصفات (مسيّا) و(البريكليت) و(المهدي) حسب المصادر الأصلية، حتَّىٰ نطابق بشكل دقيق:

(مسيّا): مصلح من الله، ينشر العدل والسلام علىٰ كلِّ الأرض في آخر الزمان، وينتشر الخير في زمنه.

و(البركليت) فإنَّه: مصلح إلهي، يُمثِّل روح الحقِّ والحقيقة، سيأتي آخر الزمان لنشر العدل والحقيقة، ويخضع جميع الأُمم بسلامه، وينشر الخيرات في الأرض.

و(المهدي المنتظر عليه السلام): يأتي في آخر الزمان لينشر العدل والحقَّ في كلِّ الأرض، ويُخضِع جميع الأُمم، وينشر الخير في كلِّ الأرض.

فإخضاع العالم كلّه، وجمع كلمته، ونشر العدل والخير، هي صفات كلّ واحد من هؤلاء في آخر الزمان.

وهذه صفات شخص واحد منتظَر من قِبَل جميع الديانات، إذ لا يمكن التعدّد في نفس الوقت لمثل هذه الحالة؛ لأنَّ كلّ دين يقول: إنَّه واحد لا يتعدَّد في زمن واحدٍ هو آخر الزمان، وفي جميع الأرض فلا مكان لغيره. وهم متَّفقون علىٰ هذا.

وهنا مشكلة تقع بسبب أنَّ المسلمين (سُنَّة، وشيعة) يقولون: إنَّ (مسيّا) و(البركليت) هو النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله ذاته وليس المهدي عليه السلام. فهي بشارة بالدين الحنيف، وليست بشارة بالمنقذ الأخير حامل لواء محمّد.

والحقيقة أنَّهم لم يلتفتوا لمهمّات الشخص المذكور بالنصوص المسيحية واليهودية، مثل ما ورد بأنَّه يبكت العالم علىٰ خطية، وعلىٰ برٍّ، وعلىٰ دينونة. وفسَّروا الدينونة بأنَّها نشر ديانة رئيس العالم، فإنَّه لا يمكن أن يكون النبيّ محمّدﷺ، لأنَّه لم يملك الأرض جميعاً، ولم يُوحِّد الدين في الأرض. فهذا لم يحدث للنبيِّ محمّدﷺ، وهو صفة الإمام محمّد المهدي. نعم، قد يقال بأنَّ ابنه هو من سيقوم بذلك وبدين النبيِّ، فيكون منسوباً للنبيِّ محمّدﷺ.

فأقول: هذا صحيح، ولكنَّه بالنتيجة هو فعل محمّد المهدي ابن النبيِّ محمّد، فالاسم له.

٣ - جذع يسي:

أمَّا نصوص جذع يسي، فهو موضوع في غاية الأهمّية، لأنَّه يصف دولة الإمام وما سيحدث فيها، وهو بشارة بشخص من نسل (يسي) يقوم بكلِّ ما نصَّت عليه روايتنا في زمن الإمام المهدي.

وهناك كلام طويل في تحقيق احتمال التحريف من (يس) إلىٰ (يسي) لأسباب وجيهة، منها: أنَّ المهدي إسماعيلي كما في بشارة يعقوب، ويسي هو والد داود، فيعني أنَّه من نسل إسحاق، وهذا خلاف بشارة يعقوب عندهم.

وأُورد هنا نصَّ جذع يسي مكتفياً به، فإنَّه يشرح نفسه، وهو يدلُّ علىٰ نصِّ الكتب السماوية بمنقذ آخر الزمان بغضِّ النظر عن التطبيق.

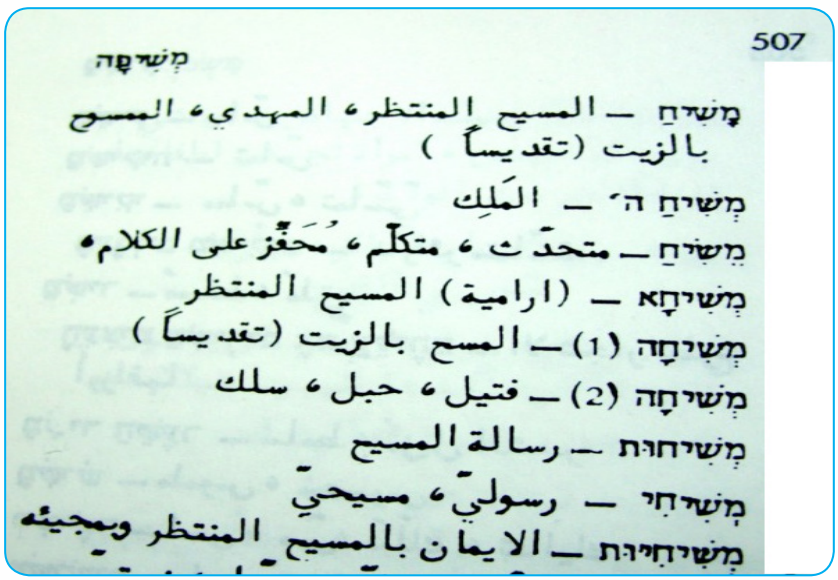
507

מְשִׁיחָה

מָשִׁיחַ — المسيح المنتظر، المهدي، الممسوح بالزيت (تقديساً)

מְשִׁיחַ ה' — المَلِك

מְשִׁיחַ — متحدّث، متكلّم، مُحفِّز على الكلام

מְשִׁיחָא — (ارامية) المسيح المنتظر

מְשִׁיחָה (1) — المسح بالزيت (تقديساً)

מְשִׁיחָה (2) — فتيل، حبل، سلك

מְשִׁיחוּת — رسالة المسيح

מְשִׁיחִי — رسولي، مسيحي

מְשִׁיחִיוּת — الايمان بالمسيح المنتظر ومجيئه

وفي سفر أشعيا (١١): (جذع يسي ١١: ١ - ويفرخ برعم من جذع يسي، وينبت غصن من جذوره. ٢ - ويستقرُّ عليه روح الربِّ، روح الحكمة والفطنة، روح المشورة والقوَّة، روح معرفة الربِّ ومخافته. ٣ - وتكون مسرَّته في تقوّي الربِّ، ولا يقضي بحسب ما تشهد عيناه، ولا يحكم بمقتضىٰ ما تسمع أُذُناه. ٤ - إنَّما يقضي بعدل للمساكين، ويحكم بالإنصاف لبائسي الأرض (لعلَّه يقصد أنَّه يقضي حسب الواقع لا الظاهر)، ويعاقب الأرض بقضيب فمه، ويُميت المنافق بنفخة شفتيه. ٥ - لأنَّه سيرتدي البرّ ويتمنطق بالأمانة. ٦ - فيسكن الذئب مع الحمل، ويربض النمر إلىٰ جوار الجدي، ويتآلف العجل والأسد وكلُّ حيوان معلوف معاً، ويسوقها جميعاً صبي صغير. ٧ - ترعىٰ البقرة والدبّ معاً، ويربض أولادهما متجاورين، ويأكل الأسد التبن كالثور. ٨ - ويلعب الرضيع في (أمان) عند جحر الصل، ويمدُّ الفطيم يده إلىٰ وكر الأفعىٰ (فلا يصيبه سوء). ٩ - لا يُؤذون ولا يُسيئون في كلِّ جبل قدسي، لأنَّ الأرض تمتلئ من معرفة الربِّ كما تغمر المياه البحر. ١٠ - في ذلك اليوم ينتصب أصل يسي راية للأُمم، وإليه تسعىٰ جميع الشعوب، ويكون مسكنه مجيداً) انتهىٰ.

٤- المشيحا:

وهذا الاسم الصفة تعرَّض لشتّىٰ أنواع التشويه، وهو علىٰ كلِّ شخصية متنظَرة منقذة ستأتي آخر الزمان، ويُوحِّد العالم حكماً وديناً، ويُسعِد الناس. (الماشيحا) باللغة العبرية هي المخلِّص المنقذ، وعندهم أيضاً المهدي كما في قاموس كوجمان العبري العربي.

طبعاً انتظار المشيحا من أهمِّ اعتقادات اليهود، وهم لا زالوا ينتظرونه،

وصفاتـه نفـس صفـات المهـدي المنتظـر، موحِّـد العـالم، ونـاشر العـدل. ولكنَّـه عندهـم صفـة وليـس اسـماً، بينـما عندنـا هـو اسـم شـخص ذو حسـب ونسـب ومحـدَّد الشـخصية.

واختصاراً أقول:

إنَّ نـزوع البشـر إلىٰ المنقـذ النـاشر للعـدل في كلِّ الأرض، والمزيـل للظلـم والجور، وموحِّـد البشـر تحـت رايـة إداريـة ودينيـة واحـدة، ليـس حلـماً مجـرَّداً نتيجـة أحـلام العاجزيـن عـن تحقيـق الأحـلام، وإنَّـما هـو وعـد إلهـي تحقَّـق علىٰ لسـان الأنبيـاء، وتبنَّتـه كلُّ الديانـات السـماوية، ورُشِّـح حتَّـىٰ مـن ديانـات انحرفـت وأصبحـت وثنيـة خالصـة، ولكنَّهـا تحتفـظ بهـذا الوعـد المتكـرِّر مـع كلِّ نبـوَّة. فوصيَّـة يعقـوب، ووصيَّـة موسـىٰ، ووصيَّـة عيسـىٰ، ووصيَّـة النبـيِّ محمّـد صلـوات الله عليهـم، واحدة بهـذا الموعـود القائـم بالعـدل والحـقِّ.

فهـذه الظاهـرة هـي نـزوع لانتظـار هـذا الموعـود حسـب الوعـد الإلهـي للبشـر، ومـن حسـن طالعنـا كشـيعة أنَّ هـذا الموعـود العالمـي هـو إمامنـا الحـالي الـذي نُديـن لـه بالطاعـة والولايـة، وننتظـره بلهفـة، عسـىٰ أن ننـال رضـاه ونكـون مـن خدّامـه والذابّـين بـين يديـه.

ونحـن الوحيـدون في الأديـان مـن يُسـمّي المنقـذ، وينسـبه لآبائـه، ويُشـخِّصه بصـورة واضحـة، بعكـس كلّ الديانـات التـي وضعـت لـه صفـات أو جعلتـه متناسـخاً عـن القدمـاء بـلا دليـل.

* * *